جماعة الصفوات أو النخب كظاهرة اجتماعية وعلاقتها بالتغير المجتمعي

(*)الدكتور : مفتاح علي حسين بالحاج

المقدمـــــــــــــة

الصفوة او النخبة ،من المواضيع المهمة التي أهتم بها علماء الاجتماع السياسي بالدراسة والتحليل ومرد ذلك إلى الأهمية التي يتضمنها هذا المفهوم ، حيث أنه يقترن في أحيان كثيرة بمفهوم القوة ومصادر السلطة والنفوذ ويتداخل مع دراسة الطبقات الاجتماعية ، الذي يساعد على تحليل وبناء وتوزيع القوة في المجتمع لارتباط مصادر النفوذ والقوة بالتركيبة الاجتماعية لبنية المجتمع

والمتتبع لحركة المجتمعات وتغيرها وتطورها عبر الزمن يرى أن هذه المجتمعات لا تخلوا من وجود نخبة أو صفوة لها مميزات خاصة ووجودها الفعال داخل المجتمع ، وفي نفس الوقت لا يمكن أن نتصور مجتمعا خال من وجود صفوة داخله تعمل على تقرير ما يجب أن يكون انطلاقاً من وضع الاعتبار ما هو كائن ، في سعيهما في تغطية مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

مشكلة البحث .

تتمحور مشكلة البحث حول دراسة جماعة الصفوة السياسية كظاهرة اجتماعية تؤثر في البناء السياسي للدولة والظاهرة السياسية / الاجتماعية ، حسب أراء ومفكري رواد علم الاجتماع السياسي ، هي نقطة تلاقي كل من علم الاجتماع العام الذي يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية ، وعلم السياسة الذي يهتم بدراسة الظاهرة السياسية واللذانيشكلاناتجاهين مختلفين في الشكل ومتفقان في المضمون ، ونقطة تقاطع العلمين في دراسة الظاهرة ينتج عنه ظاهرة جديدة إطارها الاجتماعي السياسي التي يهتم بدراستها علم الاجتماع السياسي .

ويرى أصحاب الاتجاه الأول أن الصفوة السياسية ظاهرة اجتماعية أوجدتها الضرورة الاجتماعية اتساقاً مع التنظيم الاجتماعي الذي يشير إلى مجموعة ثابتة نسبيا من العلاقات المتبادلة بين الأجزاء المكونة سواء كانت إفرادا او جماعات ، وبهذا يمكن أن ينظر إلى المجتمع بأنه نسق مركب من التنظيمات ، كل تنظيم من التنظيمات يقوم بفعل اجتماعي موجه نحو أهداف محددة ، تحكمه جملة من القواعد العامة الرسمية وغير الرسمية التي تنظم العلاقات المتبادلة بينه . وعلى هذه

(*) عضو هيئة تدريس بقسم علم الاجتماع/ كلية الآداب / جامعة مصراتة.

الرؤية أن الصفوة متأصلة بجذورها في الحياة الاجتماعية حسب اطر التقاليد والأعراف ، وفي هذا الحال كثيرا ما تكون الصفوة وليدة التلقائية النمطية التي تتشكل فيها خاصية إدراكية عامة ، وخاصية معرفية خاصة ،* وابرز مجال لها يظهر في ظاهرة العلاقات الاجتماعية .

ومن نافلة القول: أن الإدراكي خاصية اجتماعية وقد يشارك فيها الحيوان ، وما هو معرفي (منطقي) فهو خصوصي تزيد او تنقص حسب كل مجتمع ، بهذا فكل معرفي إدراكي وليس كل إدراكي معرفي منطقي ، ويترتب على هذا ما يشكل الفارق بين الإنسان الاجتماعي المحكوم بالإدراك في علاقاته او أفعاله وبين الإنسان المثقف المحكوم بالمعرفي ،وبالإضافة إلى الإدراكي في علاقاته او أفعاله مع الآخرين .

تتسق الصفوة في صورة ظاهرة ممثلة لصور العلاقات الاجتماعية المنيطة بحفظ الحياة الاجتماعية في نسيجها ووحدتها ، وعليه تتحدد الصفوة بأنها ظاهرة ذات مجال جماعي Sociality.

أما الطرف الثاني حسب علم السياسة العام فهو يرى الصفوة السياسية ذات عمل فردي Individvidal تشكلها قلية داخل المجتمع السياسي ، فهي ظاهرة وليدة تطور النظم السياسية لا تطور النظم الاجتماعية ، خاصة بعد ظهور الأحزاب والنقابات والتكتلات والمؤسسات السياسية ، إلى جانب إن الظاهرة السياسية أكثر الظواهر أهمية وانتشارا وسلطانا في النسيج الاجتماعي ، وأصبح الأفراد داخل المجتمع أكثر ارتباطاً بهذه الظاهرة خاصة في الحياة المعاصرة .

والصفوة في نطاقها السياسي،كما سبق الإشارة هي أقلية ، ذات مميزات ثقافية وفكرية ، تتأتي وتتعالى على الثقافة الاجتماعية السائدة ، ومن هنا تكون الصفوة حسب هذا الطرح ذات ظاهرة فكرية انحدرت إليها من طبيعة العمل السياسي ذاته تسعى نحو التنظير الذي يعده مقوماً وأسسا لما هو عملي تطبيقي في مقابل أن التنظير عمل عقلي ، قد يكون على شكل مشروع او خطوط فكرية قابلة للتطبيق ، تهدف نحو غائية Teleology تجلب أكثر نفعا للحياة الاجتماعية ،وسواء كان هذا المشروع النظري يكون على شكل ايدولوجيا ديمقراطية أو ديكتاتورية ، فانه لا يخرج عن كونه طرحا فكريا تتولد عنه نخبة او نخب ذات مستوى فكري عال.

نرى إن الفارق بين ما هو اجتماعي في عمومه ، وما هو فردي في خصوصه نجد إن هذا الأخير أكثر قابلية للتغير والتجديد نظرا لما ينتاب الظاهرة السياسية من تقلبات ومستجدات ، في الوقت الذي يكون فيه الثاني أكثر ثباتا وسكونا بحكم ارتباطه بالظواهر الاجتماعية ، ولكن مع هذا

*تبرز النمطية او التلقائية في أي سلوك مدعما بمنطق إدراكي وهو ما يساوي الضرورة الاجتماعية ، لا بمنطق فكري أي ما يعادل او يساوي الضرورة المنطقية او الفكرية .

لا يمكن إن نتصور أحدهما بدون ألآخره ، وتأسيسا عما سبق يمكن طرح التساؤل التالي : هل لجماعة الصفوة تأثيراتها على المجتمع والى أي مدى ؟ أو ما هي النخب وما علاقتها بقضايا المجتمع ؟

الأهمية : تكمن أهمية الورقة البحثية في تبيان مدى تأثير النخبة أو الصفوة في تغيير اتجاهات الناس داخل المجتمع .

الهدف : التعرف على تركيبة البناء الاجتماعي واختلاف درجتي النفوذ والتأثير ، وتأثير الأقلية العددية التي تتميز عن بقية إفراد المجتمع من حيث درجة تأثيرها ونفوذها . وكذلك التعرف على التوزيع غير المتكافئ للإمكانات الاجتماعية لمصادر السلطة والنفوذ.

بعض المفاهيم والمصطلحات ذات العلاقة بهذا الشأن :

مفهوم الصفوة : الصفوة لغة كما جاء في معجم الوجيز : الصفاء من الشيء خياره وخالصة والصفوة من كل شيء أحسنه ... وصفا صفواً وصفاء يعني الخلص من الكدر واصطفاه أي فضله واختاره.

ويعرفها الجوهري بأنها" فئة قليلة داخل المجتمع لها مكانتها الاجتماعية العالية ، وتؤثر على أو تحكم بعض أو كل شرائح المجتمع الأخرى "[1].

ويشير معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية إلى إن الصفوة ، والتي يطلق عليها أحيانا علية القوم أو الأعيان . بأنها أقلية ذات نفوذ تسود جماعة اكبر حجما .[2]

التعريف الإجرائي للصفوة : الأشخاص البارزين والمتفوقين بالقياس إلى غيرهم .

مفهوم النخبة : جاء في لسان العرب (لابن منظور) ، في تعريفه للنخبة : نخب ، انتخب الشيء : اختاره ، ونخبة القوم خيارهم .[3]

المفهوم الإجرائي للنخبة : الأقلية المنتخبة أو المنتقاة من مجموعة اجتماعية سواء كانت تمثل طائفة دينية أو طبقة اجتماعية أو اقتصادية أو حزب سياسي تمارس نفوذ بفعل مواهبها الفعلية .

الانتخاب: " الانتـــــــــــــــزاع . الاختيار والانتقاء ومنه النخبة وهم الجماعة تختار من الرجال فتنتزع منهم "[4].

المفهوم الإجرائي للانتخاب : اختيار أو انتقاء مجموعة من الرجال تمثل صفوة أو علية القوم .

---

1)عبد الهادي الجوهري ، معجم علم الاجتماع ، المكتب الجامعي الحديث ، 1999، ص 131.

2)مولود زايد الطبيب ، علم الاجتماع السياسي ، منشورات جامعة الزاوية : ليبيا ،2007، ، 242

3) لسان العرب لابن منظور ، الجزء 2

4) محمد نبيل الشيمي ، النخبة في الوطن العربي ، الحوار المتمدن – العدد 3113بتاريخ 2010/09/02.

مفهوم النخبة أو الصفوة الاجتماعية : ((يشير إلى احد سمات البناء الاجتماعي ، وهذا ما يعني اختلاف درجتي النفوذ والتأثير اللتين يتمتع بهما الأفراد ، ففي كل المجتمعات توجد مجموعة من الإفراد التي تمتلك سلطة وتمارس نفوذا اكبر من الآخرين في مجالات الحياة المختلفة)) (5)

التعريف الإجرائي للصفوة الاجتماعية ، الطبقة العليا من المجتمع ، ذات الاهتمام الاجتماعي الأعلى في مجتمعهم .

النخبة او الصفوة السياسية : ((جماعة من الإفراد تمتلك الهيبة والثراء يشغلون مراكز النفوذ والسيطرة)) (6)

التعريف الإجرائي للصفوة السياسية : قادة الرأي العام والمؤثرين فيه ويشكلون اتجاهات الرأي العام وتوجيهات المجتمع

مفهوم الدولة : هي ((مجموعة من الإفراد يقيمون بصفة دائمة في إقليم معين ، وتسيطر هيئة منظمة استقر الناس على تسميتها الحكومة)) (7)

التعريف الإجرائي للدولة : كل مجتمع يقيم في إقليم معين بصفة دائمة ويكونون مستقلين من السيطرة الخارجية ولهم حكومة يدنون لها بالطاعة المعتادة ، يسمى دولة .

مفهوم الحكومة : ((هي ذلك النشاط المرتبط بالحكم والذي يتمثل في ممارسة الضبط والسيطرة على الآخرين . فهي الأداة التي بواسطتها يتم تحقيق النشاط في المجتمعات الحديثة)) (8)

التعريف الإجرائي للحكومة : وجود هيئة حاكمة تتولى شئون الإفراد في الدولة

مفهوم السلطة ((قوة نظامية وشرعية في مجتمع معين ، مرتبطة بنسق المكانة الاجتماعية وموافق عليها جميع أعضاء المجتمع)) (9) .

التعريف الإجرائي للسلطة : تستمد شرعية:وجودها بالاعتراف بها وفقا للقوانين المعمول بها ، حسب كل دولة .

مفهوم القوة : يعرف ماكس فيبر القوة بأنها : ((احتمال قيام شخص ما في علاقات اجتماعية بتنفيذ رغباته على الرغم من مقاومة الآخرين ، وبصرف النظر عن الأساس الذي يقوم عليه ذلك الاحتمال)) (10)

---

5) ايليا حريق ، التحول الديمقراطي والاجتماعي في المجتمع العربي الحديث ،المستقبل العربي ، عدد 80 أكتوبر ، 1985، ص4

6) المرجع السابق ، ص 4

7)مولود زايد الطبيب ، مرجع سبق ذكره ، 151

8)محمد علي محمد ، أصول علم الاجتماع السياسي ، ج /2، القوة والدولة ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1988، ص 208.

9) شعبان الطاهر الأسود ، علم الاجتماع السياسي ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1، 1999،ص 103.

10) المرجع السابق ، ص 103 .

التعريف الإجرائي للقوة : تعني القدرة على جعل شخص آخر يقوم بعمل ، لم يكن ليقوم به دون استخدام القوة .

مفهوم القيادة : " أنها فن تدبير شئون الناس بالناس ، من ضبط المعاملات – العلاقات الاجتماعية بكل معاني التعبير – وتسيير السلوك البشري بالإكراه او الإقناع ، بالتعقيل أو بالتوهم ،وفي كل حالة بخطاب المصلحة والترغيب في المصالحة الاجتماعية "(11).

التعريف الإجرائي للقيادة : القدرة على توجيه وتحفيز الأفراد للقيام بأمر ما يوَصل لتحقيق الأهداف بأعلى درجة من الكفاءة بأقل جهد ومال ووقت .

مفهوم التأثير : بشير إلى القدر على الإقناع وتجنب استخدام أي شكل من أشكال القهر أو العسف .

التعريف الإجرائي للتأثير : محاولة التأثير على الآخرين عن طريق الاقتناع بقوة الحجة والمنطق دون صفة إلزام .

الإطار النظري

تمهيد .

تعد ظاهرة الصفوة (النخبة) من أهم الموضوعات التي يعني بها دارسو العلوم السياسية ، حيث تشكل هذه الظاهرة محور نشاطات الجماعة السياسية ، ويتفق علماء الاجتماع والسياسة على أن دراسة الصفوة تمثل بؤرة اهتمام علم اجتماع السياسة والاجتماع العام ، ذلك أن البحث في مفهوم الصفوة (النخبة) يتطلب البحث في العديد من المفاهيم السياسية مثل مفهوم القوة والسلطة والقيادة والطبقة الحاكمة والدولة والسيادة والحكومة . وإن تحليل مفهوم الصفوة يعني تحليل بناء القوة داخل تركيبة المجتمع سواء كانت هذه الصفوات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ، كذلك إلى أي مدى تسعى الصفوات إلى تحقيق مصالحها الخاصة أم أنها تسهم في تنمية المجتمع.

1) **الصفوة السياسية :**

لا يمكن إن نتصور الحياة الاجتماعية خْلواً من وجود صفوة Elite او ظواهر نخبوية Elitism على شكل أقلية لها مميزاتها الإدراكية والمعرفية عن بقية إفراد الكل الاجتماعي على مختلف المستويات سياسية كانت أم اقتصادية أم ثقافية في هذا المقام تم تحديد مجال العرض على الصفوة السياسية انطلاقا من إن الظاهرة السياسية هي أعلى درجات الرقي والتطور والتكوين الاجتماعي المعاصر ، فهي للاعبة لأكثر الأدوار المؤثر في الحياة الاجتماعية اقتصاديا وسياسيا وأخلاقيا بحيث أصبح الفرد الواحد يمتلك حق المشاركة في القرار السياسي ، وهذا ما جعل الظاهرة السياسية قوة اجتماعية شكلت اهتمامات الباحثينالاجتماعيين والاقتصاديين ، المؤرخين والفلاسفة ... لإيجاد

11) خليل احمد خليل ، معجم علم الاجتماع ، معهد الإنماء العربي ، بيروت 1995، ص 115.

صيغة مناسبة لما ينبغي عليه الاجتماعي السياسي في خدمة المجتمع ورفاهيته وأمنه واستقراره . هذا ما يعني أن السياسة لم تعد وقفا على المستوى الرسمي او الدبلوماسي Diplomatic بل أصبحت منتشرة على مستوى الشعبي كافة .

حسب عرف السياسيين إن علم الساسة هو " علم الدولة أو هو ذلك النوع من العلوم الاجتماعية الذي يتناول نظرية وتنظيم وحكومة وممارسة الدولة " (12) ، بل يذهب ماكس فيبر (1920/1864) إلى ابعد من هذا حيث يرى وجوب " إضفاء الصفة السياسية على تنظيم ما او رابطة ما، طالما يتم تنفيذ نظامها على نحو مستمر في إقليم معين أو التهذيب بتطبيق قوة مادية من الجهاز الإداري ..." (13) فإذا كان التعريف الأول يشير إلى علم السياسة إلى الصفة الاجتماعية ويحددها بممارسة الدولة بوصفها نشاطا له تنظيم يمتلك حق شرعية فرض السلطة ، فان التعريف الثاني يصبغ الصفة السياسية على كل نشاط اجتماعي مهما كان نوعه بشرط وجود تنظيم له حق الاستمرارية بفضل امتلاكها للقوة المادية .

ويطرح لنا علم السياسة في مقوماته الأساسية ،الدولة والسلطة والسيادة ، بأنها مقومات ذات وظائف متداخلة ومتكاملة تشكل فيما بينها موضوعا ومنهجا لما يسمى علم السياسة الذي يُعد " من أهم العلوم الاجتماعية التي ترتبط بعلم الاجتماع ألسياسيي " (14)بوصف إن السياسة في طبيعتها ظاهرة اجتماعية في المقام الأول إلى جانب الصلة الوثيقة والمتداخلة بين العلاقات ذات الصفة السياسية والآخرة ذات الصفة الاجتماعية ، وان كان هناك من فروق في المجالات المشتركة بين العلمين هي فروق دقيقة يفرضها نظام تقسيم العمل والمتخصص لكل علم على حده ،بمعنى إنها فروق محض أكاديمية لا غير .

والصفوة السياسية عادة ما تكون ذات مستوى ثقافي متميز بحيث أصبحت من سمات المجتمعات الحديثة ، بفضل بما تؤديه وما تمتلكه من سلطة في اتخاذ القرارات ، فهي جماعة تمارس نفوذا متفوقا داخل المجتمع ، ومن هنا بدأ يشار أليها بعدة تسميات مثل:الصفوة الحاكمة، والصفوة صاحبة النفوذ والقوة ، او الطبقة الحاكمة، وبالإضافة إلى الامتيازات الاقتصاديةوالثقافية التي تتمتع بها الصفوة ، فأنها تقوم بواسطة وحدتها وقوة سلطتها السياسية بتوجيه الاقتصادي إلى جانب التأثير الثقافي على الأغلبية أو الكثرة والتي تكون عادة هذه الكثرة غير منظمة، وكذلك في اتخاذ القرارات المؤثرة على المظاهر العامة في المجتمع ،وخاصة في مجال القرارات السياسية.

12) بطرس بطرس غالي ، ومحمود خيري عيسى ، المدخل في علم السياسة ، مكتبة الانجلو المصرية : القاهرة ، 1988

13) عبد الله محمد عبد الرحمن ، علم الاجتماع السياسي ، ص 65

14) المرجع السابق ،ص 7 .

2) **الدولة :**

هي مناط أو مرتكز على السياسة ، فمفهوم علم السياسة تعاضد مع مفهوم الدولة *بل يتكامل معه ، فإذا كان علم السياسة هو الإطار النظري فان الدولة هي الإطار العملي ، إلى جانب أن الدولة هي المحور الذي يتمحور حوله مفهوم الصفوة تلك الصفوة السياسية التي نخصها في هذا المقام ، والتي برزت منذ كتابات المؤسسين لمفهوم ونظرية الصفوة ابتداء من **جاتينوموسكا** (1858 1941-) **وباريتو**(1848- 1923)وغيرهما : يوصف أن الصفوة هي أم المداخل لتحليل النظم السياسية عاملة الوقوف على ما تؤديه من آليات التوجيه والإرشاد بغية استمرار هذه النظم .

ومن خلال استعراض مفهوم الدولة بوصفها مرتكز علم السياسة فنجد على مناحي هذا العرض تعدد تعريفات الدولة ، وذلك باختلاف زاوية البحث بين فقهاء القانون الدستوري والقانون الدولي فنشير وما يتسق ويتقارب مع هذا العرض ، فنجد " أن الدولة ظاهرة سياسية وقانونية ، تعني جماعة من الناس يقطنون رقعة جغرافية بصفة دائمة ومستقرة ويخضعون لنظام معين "(15) ، نخلص من هذا التعريف بعض المقومات بإيجاز في النقاط الآتية :

ا) إلى جانب أن الدولة ظاهرة سياسية ، فان هذه الظاهرة لن تتسنى إلا بالصفة القانونية الداعمة للدولة .

ب) كل ظاهرة قانونية في هذا الصدد لها وجهان الأول يعني السلطة او القوة ، والثاني يعني السيادة .

ج) إشارة إلى جماعة من الإفراد هي إشارة إلى الشعب الذي تسوده الحياة الاجتماعية بكل ظواهرها ونظمها وعلاقاتها ، وهذا ما يعني المحور الرئيسي لقيام الدولة على رقعة أرض إقليمية .

على ضوء هذه المقومات تكون الدولة أهم ظاهرة سياسية مؤطرة بأطر مادية (البشر / الأرض) وأخر معنوية (العلاقات الاجتماعية / الحقوق والوجبات) وهذا ما يزكي الدولة في امتلاكها حق السلطة والسيادة Authority and Sovereignty" فالتنظيم الاجتماعي يفترض مسبقا أن يكون عند بعض الأشخاص قدرا من القوة يمارسونه على أشخاص آخرين ، وهو الموقف الذي يتميز في نظر جميع الناس بالشرعية ومن أجل هذه المنافسة على القوة يجب أن تكون منظمة أو نظامية . ولهذا الغرض يجب أن تحتفظ الدولة لذاتها باحتكار وسائل الردع الخاصة التي يعتبر شرعيا ، في نطاق إقليم محدد ومن ثم فان السياسة هي النضال من أجل المشاركة في القوة ، أو

---

*في بعض النظم السياسية يستعمل مفهوم الدولة بدلا من مفهوم الحكومة ، ومفهوما الدولة والحكومة مفهومان مترادفان ، ولكن في هذا المقام آخذنا بالنظام الليبي الذي يرى فارقا بين الدولة والحكومة ، الأول مفهوم معنوي تصوري ، والثاني مادي عملي ، حيث هناك بعض النظم ، لا تفرق بين مفهومي الدولة والحكومة ، تقول حكومة فلان أو دولة فلان ، أي بمعنى أن بعض الدول تستعمل لفظ(دولة) بدلا من لفظ(حكومة) والعكس.

15) إبراهيم عبد العزيز شيحة ، مبادئ الأنظمة السياسية ، ص 14

محاولة التأثير في عملية توزيع القوة او هي القدرة على صنع قرارات سلطوية »(16) وفي تناول السلطة مع رديفها السيادة ، هو تناول يعًد من صميم الدولة في إطارها السياسي والاجتماعي ، ذلك أن « السلطة هي المكان الأول وشكل من أشكال الضبط الاجتماعي »(17) وفكرة الضبط الاجتماعي قديمة وهي نابعة من المبدأ البسيط الذي يقول بأن كل حياة اجتماعية ترتكز بالضرورة على شيء من التنظيم وان كل تنظيم يتضمن نوعا من الضبط ويشكل الضبط الاجتماعي أهمية للمجتمع الإنساني فقد وجد هذا المجتمع كضرورة لازمة ينتظم بها أمره .كما يؤكد **رالف داهر ندروف** بقوله : « أينما وجدت السلطة فسوف يناضل الناس من اجلها ، وهي عقيدة أقرب إلى طبيعة القانون السيكولوجي منها إلى الافتراض الاجتماعي ، إلا أنها تنطوي على صراعات تتولد من خلال فروق السلطة في حد ذاتها »(18) وقد أشار إلى ذلك العلامة ابن خلدون ، في مقدمته حيث ذكر « إن الاجتماع إذا تم للبشر فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم ... فيكون ذلك الوازع واحد منهم له عليهم الغلبة والسلطانواليد القاهرة حتى لا يصل احد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك ...»(19)

وقد ظهر مصطلح الضبط الاجتماعي Social Control لأول مرة في كتابات روس E.Ross التماسك الاجتماعي عام 1901 حيث كان اهتمامه منصبا على العملية التي من خلالها يتم ربط النظم الاجتماعية وكيف يعيش الناس مع تتضافر جهودهم ، وطبيعة الظروف الاجتماعية التي يسود فيها الانسجام بين الناس . وركز على وسائل الإقناع وشدد على المدى الذي يكون فيه الإقناع والتعامل بين الناس مؤثرين ومن خلاله تفسير وسائل التوجه للإرادة أو الوعي لدى أفراد .المجتمع . ويرى روس Ross « أن الاختلافات في الميول والاتجاهات والحاجات والرغبات وما يسود المجتمع من منازعات ومشاحنات وصراع بين مختلف الفئات والطبقات ذات المصالح المتضاربة والناتجة عن عوامل نفسية واقتصادية وسياسية واجتماعية تستلزم وسائل وأجهزة اجتماعية ضابطة »(20)، فالهدف الاسمي للضبط الاجتماعي هو ضمان واستقرار النظام الاجتماعي والمحافظة عليه في حالة سوية مع مراعاة حركة النظام الاجتماعي وضرورة تقدم المؤسسات والمنظمات بصورة مطردة لإشباع حاجات إفراد الجماعة وتحقيق رفاهيتهم .

16) سامية محمد جابر ، علم الاجتماع المعاصر ،بيروت : دار النهضة العربية ،1989، ص ، 240.

17) موريس كوانستون ، المصطلحات السياسية ، ص 11

18) علي عبد الهادي الحوات ، النظرية الاجتماعية ، منشورات شركة الجا ،،1998، ص162.

19) ابن خلدون ، المقدمة ، (تحقيق د. علي عبد الواحد وافي ، ج 2، القاهرة : لجنة البيان العربي 1958، ص 711.

20) احمد الخشاب ، الضبط الاجتماعي اسسه النظرية وتطبيقاته العملية ، ط2، القاهرة /: مكتبة القاهرة الحديثة ، 1958 ص 21،22

وتتجلى أهمية الدور الذي تقوم به الضوابط الاجتماعية في التنسيق والتوفيق بين النشاطات والاهتمامات الفردية وبين مصالح الجماعة على مختلف المستويات حتى لا يتصدع البناء الاجتماعي نتيجة صراع بين عناصره . فهذا الشكل الذي تعلق بصفة اجتماعي في السلطة جعلها تمتلك أيضا الصفة الشرعية على الخاضعين للحياة الاجتماعية تسويها الأحكام التي بوجدها ويفرضها الضبط الاجتماعي للسلطة ، ونشأة السلطة في الجماعات الإنسانية ، كانت نتيجة الحاجة إلى أجهزة اجتماعية ضابطة ، ووجود نظام يحدده القانون وتسانده الدولة وبخاصة في الجماعات المدنية المعقدة . التي تمثل الضبط الرسمي والذي يتضمن السلطة والقوانين واللوائح التي تحدد المكافآت المتمثلة في الجزاءات الايجابية والعفويات المتمثلة في الجزاءات السلبية ..

إما بخصوص إطارها السياسي ، فانا نجد السلطة متمثلة في الأنظمة التشريعية (القضائية) في المقام الأول ، ثم تدرج نزولا إلى السلطات التنفيذية (الإدارية) ثم إلى بقية المنظمات السياسية على مختلف مشاربها ونزعاتها الايدولوجية دكتاتورية كانت أم ديمقراطية ، ويجري كل هذا داخل جماعة بشرية منظمة ، بمعنى وجود أشخاص في مركز السلطة يملكون حق صياغة الشرائع مراقبة وتنفيذا ، ولكن مع هذا لا ننسى أن الدولة مهما كان شكلها ونظامها فهي لا تخرج عن منظومة الدول في العالم ذلك إن الدول " كل منها ينمو ويزدهر وفقا لأساليبه ومعتقداته ونظامه السياسي "[21] وهذا ما يعني حضور التراث الاجتماعي المستمد من الأمة او الشعب او المجتمع داخل نسيج الدولة الذي يكون من صميم اهتمام السوسيولوجي ويعد نظره أقوى مما لدى زميله السياسي الذي لا يعير اهتماما يذكر بهذا التراث جراء المغامرات السياسية ومقرراتها السريعة ، والكل يقول السياسة تساس لخير الشعب ، والعاملون فيها من الشعب ، أي من الصفوة السياسية صفوات او نخب لها توجهاتها السياسية ، ونخب تؤدي تنفيذ هذه السياسة وذلك من خلال منظمة سياسية أخرى يعبر عنها بالحكومة ، " وركز علماء الاجتماع في هذا الصدد على فكرة الضبط الذي تقوم به الدولة عن طريق النخبة أو الصفوة أو جماعة معينة قادرة على السيطرة بالنسبة للثروة ، والقوة العسكرية ، أو الدين ، أو الفكر ... وقد رفض هؤلاء تصنيف الدولة من حيث الشكل ورأوا تصنيفها من حيث الطبقات الحاكمة "[22].

3) الحكومة :

الدولة أو الحكومة هي الممثل الحقيق للسلطة العامة وهذه السلطة وبما تمتلكه من حق السيادة ، تحتاج إلى آلية تقوم بعمل تنفيذ هذه السيادة وممارستها عمليا ، وهذه الآلية تمتلك بدورها صفة النظام السياسي المباشر الذي يلامس الحياة الاجتماعية على مختلف مكوناتها ونظمها وقد

21) غاستونبوتول ، سوسيولوجيا السياسة ، ص58

22) مصلح الصالح ، الضبط الاجتماعي ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ط1، 2004، ص 184

يطلق عليه بمعنى مرادف للدولة هو الحكومة " للدلالة على مجموع الهيئات الحاكمة أو المسيرة لأمور الدولة "[23]، وبغض النظر إلى إشكال الحكومات ، واختلاف مكوناتها رئيسية او لا رئيسية ، جمهورية او ملكية ، استبدادية او ديمقراطية ، ومهما كان الأمر فإن الحكومة جزء من نظام سياسي داخل نطاق الدولة ،

وقد ميز (جونسون) بين مصطلحات الحكومة والدولة ، حيث بدا بالفحص فيقول : " إن الحكومة تمارس الضبط الملزم داخل إقليم محدد وتطالب داخل حدود هذا الإقليم – باحتكار استخدام العنف والقوة – وتعني صفة ملزم تحديد طابع الأوامر التي تشمل القوانين وقد حاول تعديل لفظ الاحتكار عن طريق القول بأنه يمكن إن يتوزع حق استخدام العنف على مجالات تسمح بممارسته عن طريق أشخاص بعينهم على أن تكون الحكومة وحدها هي صاحبة الحق في تعيين هذه الحدود"[24] .

فالحكومة لا تستغرق جميع الأشخاص وإنما تتضمن فقط من يقومون بأدوارها الرسمية . إما الدولة فتشتمل على جميع الأعضاء الذين يقطنون في نطاقها وهي تمارس سيادتها على الأعضاء في الداخل وهو ما يعكس استقلالها السياسي . والذي بهمنا هنا الإطار التنفيذي أي المتعلق بالسلطة التنفيذية المخُول لها بمسئولية رسم سياسة الدولة وتنفيذ أهدافها العامة وبالتالي تكون الحكومة أقرب دائرة سياسية للجماهير الشعبية بوصفها تنظيما قانونيا يخضع لأهداف وقواعد قانونية مستمدة أصلاً من وظيفة الدولة ، بهدف تنظيم العلاقات الاجتماعية بين أعضاء الشعب وحياة هذه الجماهير، وعليه تكون الحكومة هي وظيفة الدولة ، بهدف تنظيم العلاقات الاجتماعية بين أعضاء الشعب وحياة هذه الجماهير، وعليه تكون الحكومة هي "الجهاز التي تستخدمه الدولة لتحقيق أغراضها"[25]، القانونية والاجتماعية والاقتصادية .

ومن هنا تكون الحكومة بؤرة فاعلة لمجموعة من المفاهيم متعلقة بالسياسة مثل : القوة والسلطة والسيادة ، والأحزاب السياسية ، والرأي العام (على مختلف مكوناته وأنواعه) إلى جانب رجالات الحكومة والوزراء ، من خلال كل هذا التشكيل والتنظيم تبرز الصفوة أو النخبة المتمثلة في أصحاب المصالح الخاصة ، أو أصحاب النفوذ والثراء وطبقات المثقفين وأصحاب الرأي والفكر في المجتمع ، وعليه فان الصفوة تحاط بأطر من جماعات سياسية ذات قوة وتأثير على الحياة السياسية ، تعرف بجماعة الضغط أيضا (اللوبي Lobby) إلى جانب جماعات ذات جداول إعمال او

23) إبراهيم عبد العزيز شيحة ، الأنظمة السياسية ، مرجع سبق ذكره ، ص 125.

24) سامية محمد جابر ، مرجع سبق ذكره ، ص ، 242.

25) شعبان الطاهر الأسود ، علم الاجتماع السياسي ،القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ،1999، 79.

برامج سياسية تسعى إلى تطبيقها تعرف بأصحاب الأجندات (Agenda) لغرض أهداف سياسية معينة .

جماعة الضغط او اللوبي هي جماعة "منظمة تضم مجموعة من الناس تعرف بعضهم بعضاً تمام المعرفة "(26)، والى جانب جماعة الأجندات ، فكلا الجماعتين ، على مختلف أنواعهم ونزعاتهم يشكلون دوائر نخبوية داخل الحكومة ، وقد يصل تأثيره في أعضاء هيئات تشرعيه في داخل الدولة نفسها إلى جانب النقابات والروابط المهنية ومؤسسات المجتمع المدني . ولكن مهما تعددت هذه الدوائر واختلفت وظائفها ، فتبقى الصفوة السياسية هي قلب تلك النخب المجتمعية نظرا لاتساع دائرة تأثيرها بحكم سيطرتها على مقاليد السلطة ، وكذلك دورها الفاعل في إقرار السياسة العامة للدولة .

4) الصفوة والقيادة :

تمثل القيادة صور علاقات السيطرة والخضوع ، والنفوذ والتبعية في نظام العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص في الجماعة ،والقيادة تصنع من خلال سمات وقدرات خاصة تؤدي إلى الاعتراف بشخص ما على انه قائد . وتتكون القيادة في الأساس نتاج للوضع القائم في الجماعة ، فلا يمكن أن نتصور بأي حال من الأحوال وجود صفوة بدون وجود قيادة تشرف على توجيهاتها وتنظيمها بفضل ما تمتلك من مميزات ذهنية ، وقدرة قيادية ، بمعنى شخصية كاريزمية Charismatic ، وقد تكون قيادة الصفوة فردية تتمثل في شخص بعينه كما هي بارزة في المجتمعات النامية ، وقد تكون هذه القيادة ذات صفة جماعية داخل الصفوة " يتصف أفرادها أو أعضائها ببعض الصفات الروحية "(27) لا علاقة لها بالوضع الاجتماعي ولا المكانة الاقتصادية ، بل كل ما يمتازون به هو حس سياسي قوي ومقدرة على التنظيم ، وذات تأثير فعال على بقية زملائهم ، من حيث التنظيم والتضامن الفكري ،إلى جانب قدرتهم على الدفاع عن أفكارهم او ايدولوجيا تهم ومصالحهم في مواجهة الآخرين من طرف وإقناع الجماهير من طرف آخر بمشاريعهم السياسية .

تبرز أهمية القيادة في داخل الصفوة على المستوى الفردي أو الجماعي بما تتمتع به القيادة في عمومها من تحمل المسئولية المناط بها قانونيا واجتماعيا وبما توجبه أو توجهه العلاقات السياسية في المجتمعات والمنظمات السياسية العالمية أو المحلية ، ومن هنا تكون الصفوة في حاجة إلى حسن تنظيم المتمثل في تماسك أعضائها ووضع خطة تعمل ذات شقين ، الأول يتجه نحو مشروع سياسي

26) بطرس بطرس غالي ، محمود خيري عيسى ، المدخل في علم السياسة ، مرجع سبق ذكره ص 320.

27) شعبان الطاهر الأسود ، علم الاجتماع السياسي ، مرجع سبق ذكره ص 7

يتعلق بمفهوم الدولة ، والثاني يتجه نحو إرضاء طموحات الأغلبية الخاضعة لها المتعلق بالحكومة بوصفها سلطة تنفيذية .

وتأسيسا عما سبق نجد أن العلاقة بين الصفوة والقيادة علاقة تكاملية تفرزها طبيعة الصفوة من حيث أنها أقلية تسعى لتمثيل الأغلبية الاجتماعية ، إلى جانب أن الصفوة حسب وضعها السياسي والاجتماعي تحتاج إلى قيادة ، وعلى نفس المقام فان القيادة – مهما كان شكلها- من الضروري تفرز نخبة اتفقت مع ذلك أم اختلفت.

5) الصفوة والمجتمع :

في كل المجتمعات - قديمها وحديثها – توجد مجموعة من الأفراد تمتلك سلطة مثل (مشايخ القبائل ، وقادة المحلات ورجال الدين ، وزعماء الأحزاب) ونفوذا أكثر من الآخرين في مجالات الحياة المختلفة سواء في إطارها الاجتماعي أو الاقتصادي او الديني ، جاء مفروضا من قبل ما تقره الحياة الاجتماعية حسب حلقات العلاقات وسبل التواصل عبر شبكة العلاقات وتبادل المنافع ،بين السلطة والنفوذ كل هذا يتم من خلال أقليات عددية تتميز عن بقية أفراد المجتمع من حيث تأثيرها ونفوذها ، وهذا ما يعني التوزيع غير المتكأ في لمصادر النفوذ والسلطة والتوجيه. فالأفراد في ظل ظروف واعتبارات معينة يطيعون أوامر وتعليمات الآخرين بصرف النظر عما يفرضه القانون ، ويصبح مفهوم السلطة في مثل هذه الحالات هو القدرة على الحصول على الطاعة ، إلى جانب القدرة على التأثير على الآخرين والحصول على طاعتهم ولا نعني بالسلطة هنا التسلط أو الأمر بالإلزام ، إنما السلطة المقامة في مشروعيتها على التأثير والإقناع فهي تستوجب الطاعة لأنها نابعة من اقتناع الفرد بمصدر السلطة فيقتنع بها ويؤمن بها مثل طاعة أعضاء طائفة سياسية لرئيس الطائفة او زعيمها. وهذا ما يؤكده عالم الاجتماع **رالف داهر ندروف** انطلاقاً من نظريته في علاقات السلطة والنفوذ انه " في كل مجتمع يوجد بعض الناس يمارسون حكمهم على البعض الآخر" (28) . فالتضامن الاجتماعي في المجتمع يتحقق من خلال

الاشتراك في المعايير والقيم الاجتماعية والاتفاق العام بين أعضاء المجتمع ،في تحليله الاجتماعي لدور السلطة في الحفاظ على النظام في المجتمع ، وهذا يعني أن تماسك المجتمع يتم عن طريق فرض القيود وان بعض المراكز في المجتمع تستمتع بالسيطرة على الآخرين ، فالتوزيع المتباين للسلطة هو العامل الحاسم العلاقات الاجتماعية المنتظمة. والتنظيم يفوق ما لدى الآخرين ، ومن هنا يتحدد لدينا بوجود صفوة " في المجتمع تضم أولئك الذين تسمو قدراتهم على غيرهم "(29) ، فالناس يتفاوتون في قواهم

28) علي عبد الهادي الحوات ، النظرية الاجتماعية ، مرجع سبق ذكره ، ص162

29) محمد علي محمد ، أصول الاجتماع السياسي(السياسة والمجتمع في العالم الثالث ، ، الجزء الأول ، الأسس النظرية والمنهجية ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، بدون ، ص 243

العقلية وقدراتهم الإدراكية وهذا التفاوت هو السَر الكامن والمحرِّك الفاعل وراء وجود الصفوات في المجتمع ، والمجتمع بدوره يحبذ الصفوات ويحتاج إليها ، ولكن مع كل هذا نجد الصفوة في علاقاتها بالمجتمع من حيث ضرورة وجودها ، قد تحمل روح العصبية عنصرا أساسيا كما أشار إليها ابن خلدون في علم اجتماعه السياسي حيث اعتبرها أهم عامل في تكوين الدولة وفي حركة المجتمعات ، فالعصبية او الشعور بالتلاحم مع الجماعة والولاء لها ، كما يرى عبد الرحمن بن خلدون ، إنها تتولد في البداية من أواصر القرابة (الدم والنسب) داخل القبيلة ثم تتطور وتتسع لتأخذ شكل الحلف ثم تتحول إلى الولاء على مستوى الدولة مؤكدا أن اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب او قريبا منها حيث يقول:" العصبية تؤدي دورا كبيرا في تأسيس الملك وتكوين الدولة – والغاية التي تجر إليها العصبية هي الملك .....)) ويقول " إن الملك إنما يحصل بالتغلب والتغلب يكون بالعصبية "(30) ، في المجتمعات القبيلية وطور هذا المفهوم سوسيولوجيا بحيث اتخذ ابن خلدون من مفهوم العصبية إشكالا متعددة تتناسب مع مراحل تطور المجتمع أو الدولة . او بتغبير آخر السيادة والسلطة هي مكافئة للتضامن الاجتماعي فكل واحد يطمع إلى السلطة ومكافئتها ولكن القليل من الناس والذين يمثلون الصفوة من يمكنهم الوصول إلى ذلك هولاء يكونوا أكثرهم تنظيما وتحالفا ، فإذا قوية شوكة هؤلاء استطاعوا التغلب على الآخرين الأقل منهم تنظيما وتحالفا حتى تصبح الغالبة منهم موازية للدولة . هذا وقد تأجج الصراع الطبقي في المجتمعات ذات الشكل الطبقي إلى جانب التعصب الديني او العرقي في المجتمعات الاثنية Ethnicity ، وفي هذا الحالة تكون الصفوة كامنة ومحركة للصراع الاجتماعي في عمومه .

ومن هنا تبرز الصفوة وكأنها شر لابد منه إذ إننا لا يمكن إن نتصور مجتمعا خال من الصفوة المنوط بها ممارسة ، التطور في سلم الحياة الاجتماعية لتصل إلى اعلي درجاته في النظام السياسي .

أنواع الصفوات أو النخب :

تختلف النخب او الصفوات باختلاف الأفكار التي تعتنقها والأدوار التي تقوم بها والنفوذ الذي تمارسه داخل المجتمع :

- الصفوة السياسية : وتتمثل في السلطة الحاكمة التي بيدها مقاليد إصدار القرارات السياسية والتي تكون لها علاقة مباشرة بنظام الحكم ، وتتسم بوجود أقلية حاكمة محتكرة لأهم المناصب حيث تمسك مفاصل الدولة كالوزارات والهيئات الحكومة التي تسيطر على زمام الأمور .

30) ابن خلدون ، المقدمة

- الصفوة الدينية والتي ترتبط بالمعتقد الديني وتحاول تطبيق المعتقدات الدينية والمتمثلة إسلاميا في الفقهاء وعلماء الدين ومسيحا في رجال الكنيسة ولهم نفوذ وسلطة في قلوب الناس مرتبطة بدرجة تدينهم وحملهم لأفكارهم في تطبيق الشريعة .
- الصفوة الاجتماعية وهم من يحتلون مكانة اجتماعية عالية في المجتمع بغض النظر أن تكون هذه المكانة موروثة او مكتسبة من خلال تقديمهم لادوار تجعلهم أصحاب تلك المكانة وتكون هذه المكانة ذات الاهتمام الاجتماعي الأعلى في المجتمع بحيث تجعلهم قادة للرأي العام ويشكلون اتجاهات الناس وأفكارهم .
- الصفوة الثقافية : وتمثل المفكرين والأدباء والشعراء والعلماء في مختلف المجالات ، وهذه تتنوع حسب الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها سواء كانت مكاسب مادية أو معنوية لنشر أفكارها ومعتقداتها أو سياسية بغية الوصول إلى السلطة وقد تكون منزوية على نفسها تحمل أفكارها فيما بينها فقط.

خصائص النخب او الصفوات :

تتسم النخب والصفوات بخصائص من أهمها :

- قلة العدد نسبياً ومن ثم فهي متجانسة متحدة وواعية وتتميز بخاصية الحفاظ على ذاتها .
- التمتع بمكانة اجتماعية مرموقة (السياسيون ، رجال الدين ، المثقفون ، رجال الأعمال.)
- الإمساك بمصادر القوة السياسية (النخبة السياسية) ولها دور فعال في صناعة القرار السياسي ، وتنفيذ ما تتضمنه من برامج .
- توجيه المواطنين إلى القيم الاجتماعية التي تؤمن بها .
- القدرة على صنع القرارات .
- تشكل عناصرها وتؤيدها لتولي مناصب المهمة في المجتمع (مقاليد السلطة).
- القدرة على توجيه المشاركة في توجيه النشاط الاقتصادي من خلال السيطرة على وسائل الإنتاج .
- التأثير في العقيدة من خلال الدعاة أو النخبة الدينية .
- القدرة على تعديل سلوكيات المواطنين وترويج الأفكار التي تخدم النظام الحاكم وإضفاء الشرعية على أدائه . وهناك من يرى في النخب أنها خليط فئات وتناقضات . تدافع عن مصالحكما تدافع عن أفكار وتوجهات .

- الاستقلالية بمعنى أنها لا تسأل عن أفعالها أمام طرف آخر فهي وحدها تتولى حسم القضايا وحل المشكلات حسب مصالحها وتصوراتها .[31]

ويؤكد محمد مالكي في مقالته عن دور النخبة وأدوارها في صحيفة أوان العدد (716): "نقلا عن الشيمي في الحوار المتمدن العدد (3113). "على أن وظيفة النخبة لا تتعلق بالمعارضة وحدها او بالمولاة فقط فالأمر لا يتعلق بالأسود أو الأبيض ولكن المشكل يرتبط بمدى قدرة النخبة يحسبها فئة مميزة بما لها من وجاهة مادية ورمزية على ممارسة حد أدنى من الاستقلالية في التأثير في المجتمع المنتمية إليه من دون أن تفقد كنه وجودها أو تتحول إلى دمية او إمعة لا حول لها ولا قوة "[32].

وقد أشار(الطبيب)في كتابه علم الاجتماع السياسي إلى أربعة أبعاد رئيسية يميل الباحثون أليها لمفهوم الصفوة :

- وجود مجموعة سائدة تملك من الخصائص والصفات ما يميزها على الآخرين .
- أن الصفوة ظاهرة اجتماعية ، فلا تطلق على شخص واحد وإنما على مجموعة من الأشخاص .
- أن هذه المجموعة تملك من القدرات ما يمكنها من صنع القرار والتأثير على الآخرين .
- أن الصفوة مفهوم نسبي ، ويقصد بذلك أنها تمارس تأثيرها ونفوذها في مجال معين تتمتع فيه بميزة نسبية وبقدرة اكبر على التأثير والنفوذ.[33]

دور الصفوة في التغير الاجتماعي .

الثقافة بصورة عامة ليست غاية في حد ذاتها ، بل إن لها تطلعات إنسانية واجتماعية وأخرى سياسية ، فهي تهدف إلى الحوار وإثارة التفكير لدى الغير ، وبما أن الثقافة ليست غاية في حد ذاتها ، فعلى المثقف ومن ينتمي إلى الصفوات أن يقبل العيش في مجتمعه بما يحتويه ذلك المجتمع من تراكمات اجتماعية واقتصادية قد تشهده إلى الوراء ، ولكنه واع ويقظ بما يستوجب عليه عمله بان يقوم بمسئوليته على الوجه الأكمل . إن شعور بعض المثقفين بالزهو والذاتية والشعور بالتمايز عن الغير ، بأنه يعيش في طبقة نخبوية تكاد تكون منعزلة مرتبطا بها ومنغلقاً في حدودها ولا يحاول الخروج منها إلى الواقع المعاش داخل مجتمعه ، يقوي انعزاله واقتصاره بالعلم النظري البعيد عن الموضوعية ، التي تحتاج إلى دراسة ما هو كائن بعيدا عن الذاتية والتأمل والخيال وذلك بإضافة

---

31) محمد نبيل الشيمي ، في الحوار المتمدن العدد (3113). مركز الأبحاث العالميwww.google.c0m

32) محمد مالكي ، مقالة عن دور النخبة وأدوارها ، صحيفة أوان العدد (716): مركز الأبحاث العلمي www.google.c0m.

33) مولود زايد الطبيب ، علم الاجتماع السياسي ،منشورات جامعة الزاوية ، 2007، ص 258،259..

تجارب جديدة ، فهو كمن يضع العربة أمام الحصان ، بدلا من أن يجعل المثقف في خدمة المجتمع جعل المجتمع في خدمة المثقف .

أن التوهم بان الهوية الفكرية للمجتمع منعدمة ، وإن ثقافة التنمية الاقتصادية والسياسية هي لوحدها القادرة على القيام بحركة النهضة وحمل رسالتها وعدم أشراك الأهالي في حمل تلك الرسالة تعتبر من الأسباب الرئيسة للركود الاجتماعي والاقتصادي ،وهذا مرده إلى تكريس القطيعة بين الصفوات التي تسيطر وتعتبر نفسها تحمل لواء الثقافة والمعرفة من جهة وبين بقية أعضاء المجتمع وعدم استيعابهم وفهمهم الضعيف لظروف المجتمع وللطبقة الحكمة ، إن طغيان بعض من يحملون الثقافة الأجنبية على عقولهم بصورة تتجاوز الواقع المعاش والاحتياجات الضرورية للمجتمع تصبح بمثابة ثقافة قائمة لغرض الاستهلاك وليس الهدف منها التحول بالمجتمع من التقليدي إلى الحديث .

فقيام شريحة من الناس تضع نفسها في مرتبة عالية عن الناس تدعي تمثيلهم والدفاع عن مصالحهم بوصفها الطليعة الواعية هذا معناه أبقاء بقية أفراد المجتمع في حالة من الجهل والركود وكأنها تقولوا لهم لا تكلفوا أنفسكم عناء التفكير فأنا أفكر لكم ونرشدكم إلى جادة الصواب ، تلك الصفوة او النخبة التي تدعي لنفسها هي وحدها القادرة على التغيير وامتلاك سبل النجاة بالانتقال بالمجتمع إلى ما هو أفضل هولاء يحرصون على أقامة سلطة استبدادية لا يحصدون إلا الفشل والهزيمة للمجتمع .فحرية الثقافة والمشاركة بالتعبير لا تقتصر للنخب والصفوات فقط وإنما هي حق مكتسب لجميع أفراد المجتمع على والسوا، إن فرض رؤية ثقافية جزئية لأهداف سياسية لنخبة بعينها وذاك النخبة يعتبر إجحاف واستبداد قائم على أساس القمع الثقافي لسياسة فكرية تحملها نخبة بعينها ، وهذا يقود المجتمع إلى التفكك والانجراف حول تيارات متعددة باحثا عن الخلاص من ذلك الاستبداد .

فالصفوة يمكن أن تفسر ظواهر السلوك المختلفة ، لدى الأفراد والجماعات والشعوب ، ولا سيما لدى الجماعات في المجتمع العربي من هنا كوّن الصفوة بنية المجتمع ونسيجه الاجتماعي الثقافي ألقيمي السلوكي ، وتفسر عبر هذا النسيج الظواهر السياسية المتمثلة في هذا السلوك، تشكل المنهج النابع من النظام العام للمجتمع ، والمرشد للتغير في الواقع والإنسان ، فالتنمية والتقدم والمساواة والحرية والعدل ومعنى حقوق الإنسان ، لكي تصير دافعا اجتماعيا ، تحتاج إلى إن تنمو ، كقيم ،في العقل والوجدان فتحفز السلوك تحقيقا لمضمون الإرادة والعزيمة القوية ، التي تقود إلى التغير . فما لم تنمو لدى أفراد المجتمع قمتي التضامن والمصلحة العامة للمجتمع لا تتحقق التنمية ، ولا يمكن أن تتحقق للإنسان حقوقه ما لم تنمو احترام العدل والحرية والمساواة في التعبير عن ذاته وعن الجماعة التي ينتمي أليها .

ويرى د. **إدريس لكريني** في مقالته النخبة السياسية وأزمة الإصلاح في المنطقة العربية : "
إن البعض يعتقد أن ترتيب وموقع أنماط الصفوة يختلف من حيث الأهمية والقوة من مجتمع إلى آخر كما يختلف في المجتمع الواحد من مرحلة إلى أخرى ، ففي المجتمع البدائي او البدوي كانت الشجاعة والفروسية والكرم والشعر والثروة وحدها تشكل قيم وإمكانات الصفوة ، وفي مجتمع أكثر تطورا وتحضرا يصبح أهل العلم والرأي والحكمة والفراسة هم صفوة المجتمع ويجري حل الأمور تحت رعايتهم "(34).

فعلى النخب بأطيافها المختلفة بإشكالها المتعددة ،عدم التنصل من مسئولياتها وان تتعامل بموضوعية وبحيادية تامة بعيدة عن التحيز الذاتي وان تشخص ظروف المجتمع وحاجياته الضرورية وأن تضع أصابعها على الجرح لكي تصل إلى مكمن المرض الحقيقي وتصف الدواء والبلسم الشافي الذي ينهض بالمجتمع ويلحق بركب الحضارة ويواكب المجتمعات المتقدمة والمتحضرة .

الاستنتاج :

من خصائص المجتمع الإنساني الأولى أنه يتغير باستمرار، واستمرارية تغيره لا تأخذ نفس السرعة مع اقسام المجتمع ولا حتى في نفس التوقيت الزمني فبعض أقسامه تتغير أسرع من الأقسام الأخرى ، وقد يحصل تغير لقسم معين ولا يحصل للقسم الآخر في نفس الوقت ، فالنظام السياسي يتغير أسرع من النظام الديني وأطار تغيير النظام السياسي يكون أوسع وأسرع من النظام ألقيمي والاقتصادي .

وقد ذهبت الورقة البحثية إلى دراسة ظاهرة الصقوه وعلاقتها ببقية المناشط الأخرى وتأثيرها في المحيط الاجتماعي، كمحاولة لتقدم خدمة عملية نظرية لعلم الاجتماع وللمجتمع معاً لتحقق من طبيعته ومؤسساته الاجتماعية ،ونظرا أن بعض الظواهر الاجتماعية لا تساعد الباحث على الوصول إلى مصادرها **البشرية بسبب علوا** مركزها البنائي الوظيفي (الصفوات) لذلك ذهب الباحث إلى استخدام الوثائق والمستندات والمصادر والمراجع من أجل الوصول إلى معلومات تمكنه من الوصول إلى كتابة بحث علمي موضوعي فاعتمد لمنهجية تحليل المضمون لسرد الوقائع الموضوعية المتعلقة بدراسة الظاهرة .

وتتنوع النخب والصفوان من سياسية إلى اجتماعية و دينية و عسكريةوثقافية وعلمية ، وان وضع النخبة او الصفوة يأتي نتيجة حيازة أعضاءها شيئا ما ، يقدره أفراد المجتمع كالثروة والمكانة الأدبية والاجتماعية والسياسية وتعتمد سيطرة النخبة بالدرجة الأولى إلى ما لديها من قدرات تنظيمية كبيرة كما يعتمد على درجة تماسكها في مواجهة القوى الأخرى داخل المجتمع .

34) زاهر زكار ، مقالة في الحوار المتمدن بعنوان :الصفوات والنخب وتاثيراتها في المجتمع ، مركز الأبحاث العالمي .www.google.c0m

يرى عبد العزيز الذكير :" أن الصفوة أو النخبة مفردتان عصريتان وأنهما رجراجتان زنبقتان في كل لغة لهما مدلول مختلف . فهما مفهومان مترجرجتان ، لذا نجد لهما ،في كل لغة دلالة مختلفة عن الأخر وفي والواقع أن من الكاتب لا يجد فروقا بين مفهوم النخبة او الصفوة" [35]، وهو تصور واقعي ولم يختلف العلماء في ذلك ، " وفي اللغة العربية تعني جملة علية القوم ، لكنها أخذت منحى يرمز إلى أصحاب الثروة بالمجتمع ، وعلية القوم ليسوا بالضرورة نخبة أو صفوة ، ففي المدن العربية يشار إلى علية القوم ، بأنهم مجموعة من أولئك الأفراد والأسر الذين يسكنون الأحياء الراقية "[36]، ولا دليل على نخويهم العلمية أو الفكرية .

وتعد الصفوة جماعة من الأفراد معروفة اجتماعيا أو سياسيا لها خصائص وسمات ذات قيمة معينة كما تشير إلى الأقلية او القيادات في مختلف ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية و الثقافية ، هذه الصفوة تضم أشخاص وجماعات يستطيعون أن يمارسوا بواسطة التأثير عن طريق الأفكار والمشاعر التي يعتنقونها نوع من الضغط على الآخرين في تقبل أفكارهم واتخاذ القرارات التي تتفق مع النهج الذي يسلكونه ." النخبة هي تلك الفئة من المجتمع التي تحظى بوضع اعتباري خاص ، وهي أقلية حاكمة ومتحكمة في مختلف زمام الأمور، في مقابل ذلك أغلبية تابعة ومنقادة وبعيدة عن صنع القرار السياسي " العلمي .فهي تلك الجماعة الأكثر قوة ونفوذاً وتأثيرا في المجتمع أي النخبة الحاكمة التي تمسك بزمام الأمور والحكم او التحكم لا ينسحب على السلطة السياسية فقط بل يتفرع إلى مختلف قطاعات المجتمع .

والصفوة هو شعور الجماعة بوحدتها المتميزة ، بكونها سلطة واحدة ، وجسما واحداً ، قوية التضامن والتماسك ، يشد أفرادها بعضهم إلى بعض ، شعور بالانتماء أليها لا إلى غيرها من الجماعات وشعور الانتماء هذا يولد بين أعضاءها التزاماً قيمياً نجوها بكل ما لها وعليها من مسئوليات وواجبات والتزامات ، تتأصل بين أعضاءها فكرة بأنهم يمثلون الصفوة وإنهم على درجة عالية من الرقي حتى يصل الأمر بهم بان أشارارهم أفضل من أخيار غيرهم ، وتنمو عندهم محدودية الشعور الإنساني العام وان حدة هذا الشعور بتميز الجماعة عن غيرها هو أساس التعصب الديني أو العرقي أو الايدولوجي والشعور بالتميز بين الناس .

35) عبد العزيز الذكير مقالة بعنوان مفهوم النخبة نقلا عن محمد نبيل الشيمي ، في الحوار المتمدن العدد (3113). مركز الأبحاث العالمي .www.google.c0m

36) نصر الدين الزايدي ، مقالة عن مفهوم الصفوة ، نقلا عن محمد نبيل الشيمي ، في الحوار المتمدن العدد (3113). مركز الأبحاث العالمي .www.google.c0m

وفي المجتمعات المعاصرة تعد الصفوة قو ة داعمة للسلطة كالأحزاب والجماعات والهيئات الثقافية والاقتصادية وسائر المؤسسات والطوائف ، كما تعتبر قادة الحركات الوطنية إحدى الصفوان المهمة في المجتمعات النامية ، وذلك أن حوافز التنمية الاقتصادية تتمثل في الصراع من أجل الاستقلال من التبعية المهيمنة على استقلال البلد اقتصاديا التي ترمي بضلالها بالسيطرة على القرارات السياسية ، فرجال الأعمال وأصحاب المهن العليا والقادة الذين يتصفون بالكاريزما الذين استطاعوا الوصول إلى اعلي مراتب التسلسل المهني من خلال تفوقهم على ممارسة وظائف اجتماعية أو سياسية تخلق منهم قوة حاكمة تتمتع بمواصفات ذاتية كالقدرة على الإقناع وهذه القدرات يؤهلها لاحتكار المناصب .

كما أن تنمية وتحديث المجتمع لا تتوقف على إمكانات التنمية الاقتصادية فقط ، ولكنها تتشعب إلى تصور أعضاء المجتمع وتطلعاتهم ونظام القيم السائدة ونوعية القيادة السياسية وطبيعة بناء القوة داخل المجتمع فتحيق التنمية في مجالاتها المختلفة مرهون بالتعرف على أوجه القصور والتغلب عليها وبناء القوة ونموذج الشخصية التي تحتاج إلى قيادة فعالة من اجل النهوض بالمجتمع .

وخلاصة القول فأن ظاهرة الصفوة ، ظاهرة تقرها الطبيعة كما يقرها العق ، فالناس غير متساوين في مجهودهم وقواهم الفيزيائية ، كما أنهم غير مساوين في قواهم العقلية والإدراكية والمعرفية ، وغير مساوين أيضا في اهتماماتهم وتطلعاتهم وضروب إرادتهم ومناحي طموحاتهم ، لذا كان ولابد أن يفرز المجتمع طائفة أو جماعة تنفرد وتتميز عن بقية أفراد المجتمع .

المصادر والمراجع

1) لسان العرب)لابن منظور ، الجزء 26، .
2) ابن خلدون ، المقدمة ، (تحقيق د. علي عبد الواحد وافي ، ج 2، القاهرة : لجنة البيان العربي 1958،
3) إبراهيم عبد العزيز شيحة ، مبادئ الأنظمة السياسية ، ص 14
4) احمد الخشاب ، الضبط الاجتماعي اسسه النظرية وتطبيقاته العملية ، ط2، القاهرة /: مكتبة القاهرة الحديثة ، 1958 .
5) بطرس بطرس غالي ، ومحمود خيري عيسى ، المدخل في علم السياسة ، مكتبة الانجلو المصرية : القاهرة ، 1988 .
6) خليل احمد خليل ، معجم علم الاجتماع ، معهد الإنماء العربي ، بيروت 1995،
7) سامية محمد جابر ، علم الاجتماع المعاصر ،بيروت : دار النهضة العربية ،1989،

8) شعبان الطاهر الأسود ، علم الاجتماع السياسي ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1، 1999،
9) عبد الله محمد عبد الرحمن ، علم الاجتماع السياسي (النشأة التطورية والاتجاهات الحديثة المعاصرة)، بيروت : درا النهضة العربية ،ط2001،1.
10) عبد الهادي الجوهري ، معجم علم الاجتماع ، المكتب الجامعي الحديث ، 1999،
11) علي عبد الهادي الحوات ، النظرية الاجتماعية ، منشورات شركة الجا ، ،1998،
12) غاستونبوتول ، سوسيولوجيا السياسة ،
13) موريس كوانستون ، المصطلحات السياسية ،
14) محمد علي محمد ، أصول الاجتماع السياسي(السياسة والمجتمع في العالم الثالث ، ، الجزء الأول ، الأسس النظرية والمنهجية ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، بدون .
15) مصلح الصالح ، الضبط الاجتماعي ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ط1، 2004،
16) مولود زايد الطبيب ، علم الاجتماع السياسي ،منشورات جامعة الزاوية ، 2007،
17) ايليا حريق ، التحول الديمقراطي والاجتماعي في المجتمع العربي الحديث ،المستقبل العربي ، عدد (80) أكتوبر ، 1985،
18) زاهر زكار ، مقالة في الحوار المتمدن بعنوان :الصفوات والنخب وتاثيراتها في المجتمع ، مركز الأبحاث العالمي www.google.c0m.
19) محمد نبيل الشيمي ، في الحوار المتمدن العدد (3113). مركز الأبحاث العالمي www.google.c0m.
20) محمد مالكي ، مقالة عن دور النخبة وأدوارها ، صحيفة أوان العدد (716): مركز الأبحاث العلمي www.google.c0m.
21) عبد العزيز الذكير مقالة بعنوان مفهوم النخبة نقلا عن محمد نبيل الشيمي ، في الحوار المتمدن العدد (3113). مركز الأبحاث العالمي www.google.c0m.
22) نصر الدين الزايدي ، مقالة عن مفهوم الصفوة ، نقلا عن محمد نبيل الشيمي ، في الحوار المتمدن العدد (3113). مركز الأبحاث العالمي www.google.c0m.